جاء الربيع

سمعتُ العصافير عند الصباح
تحيّي الضياء بسحر الغناءْ
فتوحي الى القلب سر المنى
وتبعث في النفس روح الرجاء
وترجع أيامي الماضيات
باحلامها الساحرات الوضاء
فقلت لنفسي : ألا تعجبينَ
لطير الربا، عابرات الفضاء؟!
تغني ومن حولها للشتاء
مشاهد تغري بطولَ البكاء !
غيوم معذبة بالحنين
الى موطن قد طواه الخفاء
وريح مولهة بالأنين
على ضائع قد زواه الفناء
كثكلى ينادي الأسى قلبها
فيا ويحها إذ يجيب النداء!
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الغناء البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وكانت هنا دوحة ذابلهْ
أرى الارض من حولها ماحله
فلا ورق ضاحك في الغصون
ولا بهجة في الرُّبا ماثله
تراها فتحسبها ثاكله
مقيدة بالأسى ، ذاهله
وقد وقفت عند قبر ابنها
تعاني فجيعتها القاتله
ومرّ زمان ، فماذا أرى ؟
أرى منظراً يبهر السابله
ربىً فاتنات بأزهارها
غضوناً بأثمارها حافله
فتبصرها من صباباتها
على مهدها أبداً مائله
فما السر يا نفس فيما أرى
وفي هذه الوحشة الزائله ؟
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الجمال البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وما بال هذا النسيم العليلْ
له نغم مستهامَ جميلْ ؟
يسر الحديث لزهر الربى
ويهتف في عذبات النخيل
تنسمت منه عبير الهوى
وقد ذاع في المرج عطر الاصيل
فذاب فؤادي حنيناً إلى
مغاني الهوى، قبل يوم الرحيل
أما كان هذا النسيم الرقيقْ
أعاصير يصرخ منها الخميل ؟
تمزق عنه رداء الخريف
كما مزق الثوب سوط طويل
وتذهب في الأرض مجنونة
فحيناً صراخ ، وحيناً عويل
فما بالها اليوم قد اصبحت
أرق وأندى من السلسبيل ؟
فقالت لي النفس في رقة :
تمتع بهذا النسيم البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وهذا البهاء الذي في السماءْ
وهذا البريق ، وهذا الصفاءْ
كأن ينابيع مسحورة
ترقرق فيها رحيق الضياء
وما لي أرى الشمس معشوقة
جلاها الهوى لشؤون اللقاء؟
تسير وفي سيرها رقة
وفي وجهها روعة وازدهاء
وفي الجو من نسمات الصبا
ومن عطرها هزة وانتشاء
ومن قبلُ كانت غيوم السماء
تسد عليها رحيب الفضاء
فتطوي السنا إذ طوت نبعه
وتنشر ظلًا كظل الفناء
فما سر هذا الصفاء الجميل ؟
وكيف توارت غيوم السماء؟
فقالت ليَ النفس في رقة :
تمتع بهذا الصفاء البديع
فقد زال عنا زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

★

وقلبي الذي عاش بين الضلوع
يكفن أحلامه بالدموعْ
ويدفنها في قبور الأسى
ويتركها للردى.. في خضوع
عجبت له اليوم ما باله
يحب الحنين، ويهوى النزوع!
وكيف تذكر عهد الهوى؟
وكيف استحال عليه الهجوع
أما كان قلبي سلا حبه
وضيّع ذكراه فيما يَضيع ؟
وأنسي ذكرى التي جرّعته
نقيع الأسى.. يا له من نقيع!
ورد اليها رسالاتها
لتدفئها في ليالي الصقيع !!
وعاف الرجوع إلى عشها
فما باله يستحب الرجوع ؟
وما باله ثائراً في الضلوع
وقد كان يحيا كطير وديع؟
وما لي أنادي به ان يثوبَ
فيهتف بي : ليتني أستطيع!
فما سره ؟ ما الذي قد عراهُ
فعانق أشواقه في ولوع ؟
وأصبح يهوى مصير الفراش
إذا ما ازدهاه لهيب الشموع!
رويدك يا نفس.. لا تنطقي
فقد اصبح السر نهب الذيوع:
لقد زال عنه زمان الشتاء
وقد جاء بعد الشتاء الربيع

(القاهرة) **ابراهيم محمد نجا**